

قراءات وتعليقات

على بعض مؤلفات

غيثان بن علي بن جريس (*)

بقلم : مجموعة من أساتذة جامعة الملك خالد

(*) دراسة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب،

لغيثان بن جريس، (الجزء السادس عشر) (الطبعة الأولى) (الرياض :

مطابع الحميضي، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ص ٥١١-٥٢٢.

(الطبعة الثانية، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ص ٥١٠-٥٢١.

رابعاً: قراءات وتعقيبات على بعض مؤلفات غيثان بن علي بن جريس. بأقلام مجموعة من أساتذة جامعة الملك خالد :

م	الموضوع	الصفحة
١-	إطلالة على موسوعة ابن جريس (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) . بقلم : أ.د. قاسم بن أحمد عبد الله آل قاسم	٥١١
٢-	من وحي الرحلات والرحالة في مؤلفات غيثان بن علي بن جريس . بقلم أ.د. عباس علي السوسوة	٥١٤
٣-	تعقيبات ابن حميد على كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الجزء الرابع عشر) . بقلم . أ. د . أحمد بن محمد بن حميد	٥١٨

١- إطلالة على موسوعة ابن جريس (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)

بقلم : أ.د. قاسم بن أحمد عبد الله آل قاسم^(١)

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلاماً على النبي المصطفى، والرسول المجتبي، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى، واستن بسنته واهتدى.

أما بعد ؛ فقد تلقيت من سعادة الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس خطابه المؤرخ في ٢٤ من شهر الله المحرم سنة ١٤٤٠هـ، وكان معه هدية قيمة هي نسخة من مؤلفين جديدين صدرت عام (٢٠١٨هـ/٢٠١٨م)، هما:

١. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الحجاز واليمن وما بينهما) الجزء الرابع عشر.

٢. الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي في مؤلفات غيثان بن جريس (ق٢-١٥هـ/ق٢١٠٨م) جزءان، إعداد الأستاذ محمد بن أحمد بن معبر القحطاني.

كما تزامنت كتابة هذا المقال مع هدية كبرى قدمها الأستاذ الدكتور/ غيثان بن جريس للباحثين والباحثات في المجالات التاريخية عبر حقه المتعاقبة بل هدية للوطن

(١) الدكتور قاسم من مواليد رجال أبع عام (١٢٨٠هـ/١٩٦٠م)، يعمل الآن على درجة أستاذ في قسم اللغة العربية وأدائها في كلية العلوم الإنسانية . جامعة الملك خالد . للمزيد عن ترجمته انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض : مطابع الحمضي، ١٤٣٣هـ/٢٠١٠م) (الجزء الثالث)، ص ٥٦ .

بأجمعه ؛ حيث دشّن سعادته موقعه الإلكتروني في حفل احتضنته صحيفة "الوطن" وقد جعل محتوى ذلك الموقع وقفاً لله .

وبدوري أثنى لسعادته ذلك العمل المبارك ؛ حيث إن مواد ذلك الموقع باتت متاحة للباحثين ؛ وهي تشتمل على كتب ووثائق مهمة ومخطوطات وبحوث عنيت بجنوب بلادنا الحبيبة، وأسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع بذلك الموقع، وأن يجزي من أوقفه خير الجزاء في الأولى والآخرة. وبالعودة إلى الموسوعة الكبرى التي أصدرها المؤلف الكبير نجد أنها قد عمت محافظات منطقة عسير تقريباً، وشملت بالإضافة إلى ذلك مناطق جازان ونجران والباحة والطائف وأجزاء من الحجاز واليمن .

والموسوعة بعامة تتوافر على معلومات مهمة قد لا توجد في غيرها ؛ حيث إن من منهجية المؤلف استكتاب أرباب القلم من المؤرخين والعلماء والأدباء بالإضافة إلى الأكاديميين من أبناء تلك المناطق المختلفة، وما ينبئك مثل خبير، ثم يقوم الباحث بالتعليق على ذلك كله .

بالإضافة إلى تركيز الموسوعة على الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي التي أفرد لها الباحث الأستاذ محمد معبر مجلدين حفلاً بما أودعه ابن جريس في موسوعته القيمة، سواءً أكانت تلك الرحلات مما قام به الباحث نفسه حيث وقف على أماكن كثيرة من تلك القرى والأماكن الأثرية وغيرها ؛ أم كانت من قبل الرحالة المسلمين أم كانت من قبل الرحالة الغربيين المستشرقين .

وقد تنوعت موضوعات تلك الموسوعة ما بين الأبعاد التاريخية وهي تمثل البعد الزمني لحركة التاريخ أم الأبعاد الجغرافية التي ترسم المعالم المكانية أم الأبعاد الثقافية والمعرفية التي تمثل نتاجات العقول البشرية العلمية والثقافية والنتائج المدنية والحضارية أم الأبعاد السياسية وأنظمتها عبر التاريخ .

كما ركزت على الآثار، وعلى العادات والتقاليد والأسواق والمنتجات وغيرها مما يشخص حركة الإنسان عبر تلك الجبال والوهاد والصحراء والسهول وغيرها، وكيفية تأقلم إنسان المكان مع بيئته، واستثمار طاقات تلك الأماكن بكل تشكيلات منتوجاتها الزراعية والمعمارية والصناعية والرعوية، ومدى مشاركة الذكور والإناث في عمارة المنازل، وتزيينها بشتى أنواع الزينة كما كشفت عن أفراحهم وأتراحهم وكل مناسباتهم، وعن حياتهم الجادة وما يعترى ذلك من وسائل الترفيه والتسلية في مسامراتهم، وما يعترى مناشطهم عند البذور والحصاد ومن الأهازيج والأناشيد التي تدفع بهم إلى مزيد من النشاط في العمل .

بالإضافة إلى الكشف عن سير خط التاريخ الجنوبي منذ القدم حتى عصرنا الحاضر، ومدى ما صاحب ذلك من تطور في النواحي التعليمية سواء أكان ذلك في التعليم العام أم في التعليم الجامعي .

وكذلك كشفت عن الأنظمة والقوانين سواء فيما يتعلق بالبعد القبلي أم في الأنظمة بعد أن تحول المجتمع إلى مجتمع حضاري مدني وانعكاس ذلك على النواحي الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية، وما صاحب ذلك من شق الطرق وتعبيدها، ومن حراك بشري في مجالات التنمية .

وكذا وثقت الموسوعة مجموعة كبيرة من الألوان الشعبية، والألعاب التي كادت تنقرض مع فضاءات المعرفة الحديثة، ومع ما كاد يذهب بكل ذلك التراث من انشغال الناشئة بوسائل التقنية الحديثة بكل تشكيلاتها التي لم تدع للشباب ولا للشابة السعة في الوقت للتعرف على تراث الآباء والأجداد، مما يعرضه لخطر الانحفاء، واندغام الخصوصيات لكل منطقة مع المنجز العالمي؛ بحيث أنها قد تفقد هويتها وخصوصيتها التي هي مجال انطلاقاتها إلى العالمية والكونية والإنسانية .

ولعل من البين التوجه العالمي إلى المحافظة على التراث والهوية وكل ما يشكل الثقافة ويجد الذات المجتمعية والشعبية .

وأكد أجزم أن هذه الموسوعة العلمية والمعرفية أبرزت أشياء كثيرة من خصوصيات تلك المناطق في بعد تاريخي مائز، وإدراكية عالية في أهمية التأريخ لتلك الحقب التي كادت تندثر، بل إن اللسان اللهجي وتلك المفردات في الألفاظ وغيرها لكل محافظة تكاد تمحى بموت الأجداد والآباء .

وأدعو من هذه الإطلالة إلى محاولة حفظ ذلك التراث الشعبي بالصورة والصوت؛ حيث إن على الأقسام اللغوية والتاريخية والجغرافية والاجتماعية وغيرها كل فيما يخصه أن يلاحق الزمن لتسجل ما تبقى من ذلك التراث الشفاهي والحركي قبل أن تنقرض تلك الأجيال ونندم ولات ساعة مندم؛ ففي ذلك المحافظة على الوحدة وعلى تعليم الناشئة تراث الرعيل الأول، وربطه ببنائه المجتمعي والأسري وأعرافهم في كل مناحي الحياة، ومن ثم وصل الماضي العريق بالحاضر المجيد بالمستقبل في دينامية تاريخية، وضرورة كينونية مستمرة لا تعرف الانبثات عن جذورها، ولا الانقطاع عن تراثها في ديمومة تراثية معرفية حضارية تؤسس عليها الانطلاقة إلى غد مشرق يبني على المنجزات الحضارية والثقافية والمعرفية التي تجمع بين أصالة الماضي وحادثة المستقبل . كته أ. د. قاسم بن أحمد بن عبد الله آل قاسم. أستاذ الأدب والنقد بكلية العلوم الإنسانية - جامعة الملك خالد. ووكيل الكلية للدراسات العليا سابقاً. (حرر في ١٦ من ربيع الأول سنة ١٤٤٠هـ) .

٢. من وحي الرحلات والرحالة في مؤلفات غيثان بن جريس . بقلم . أ. د . عباس علي السوسوة^(١) .

كنت قرأت بعض هذه الأبحاث مفرقة في أجزاء مختلفة من (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ، ثم قرأتها مع غيرها مجموعة بفضل الأستاذ ابن معبر في (١١٠٤) صفحة ، وأكبرت هذا الجهد في التصنيف لابن معبر ، ولمؤلف القول المكتوب غيثان بن جريس براعته في التحليل والتفسير . وكان من ضمن ملاحظات المؤلف المتفرقة أن بعض الرحالة اليمنيين كالسلطان الرسولي وإسماعيل جفمان وغيرهم مروا في أثناء رحلاتهم للحج بمناطق كثيرة من الجنوب ، وكانت ملاحظاتهم عليها نزره .

ولست هنا معلقاً على عمل الدكتور غيثان هذا . لا مادحاً . رغم أنه يستاهل المدح الصادق . ولا قادحاً ، فهو عمل طيب . بل ما أوحى إلينا عنوان العمل وبعض الأبحاث جملة ، لاسيما قلة هذه الملاحظات الرحلية ، وسوء تفسيرهم لبعض الأمور ، والاعتماد على الأقوال الشائعة المبالغ فيها ، وغيرها من أمور .

وأحب أن أعلق على أعمال الرحالين جملة ، فقد يكون همهم غير ما نتوقع منهم نحن معشر القراء المعاصرين . فمثلاً همّ الحجاج الوصول إلى الأماكن المقدسة ، بل إنهم حتى في هذا الهمّ قد تكون ملاحظاتهم قليلة ، وبعضهم جعل همّهم أن يستعرض مهارته الشعرية كأن ينظم أرجوزة في مقصده / رحلته ، وبالتالي لا نتوقع أن يأتي فيها على كل ما وقعت عليه عيناه من أماكن وشخص وحوادث ، ناهيك عن أن بعضها لا يستجيب لوزن الشعر حتى لو استعمل الراجز كل الضرورات الشعرية التي أوصلها بعضهم إلى ثمان وأربعين^(٢) .

وأقرر إن أكثر الرحلات القديمة . سواءً ما جمع في هذا السفر الجليل أم في غيره . يغلب عليها الإيجاز ، باستثناء بعض الرحلات البحرية التي يكون غرضها سرد العجائب والغرائب ، الذي هو مسوغ للإسهاب فلدينا رحلة ابن بطوطة التي صاغها ابن جزيّ الكلبلي مثال لما نقول ؛ فرغم طول المدة الزمنية التي قضاه في الترحال فإن كلامه

(١) الدكتور عباس السوسوة من مواليد محافظة تعز ، ويعمل حالياً أستاذ اللسانيات في جامعة الملك خالد بأبها ، له العديد من الكتب والبحوث المطبوعة والمنشورة ، للمزيد عن سيرته الذاتية انظر محمد بن أحمد مَعْبَر . سيرة كتاب : احتفاء بصدور عشرة أجزاء من كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ، (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م) ، ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ . غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطائفة وأجزاء من الجنوب) (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م) ، ص ٤٠١ . (ابن جريس) .

(٢) مع هذا يا دكتور عباس نجد في رجز الكثير منهم معلومات تاريخية مهمة وبخاصة في الجانب الحضاري مثل الإشارة إلى مواقع أو أفراد أو جماعات أو بعض الجوانب الاجتماعية والاقتصادية المهمة . (ابن جريس) .

موجز جداً إلا في ذكر العجائب والغرائب فإنه يطيل، حتى لو افترضنا أن كثرة الأماكن التي زارها وأقام فيها مدداً قد تطول وتقصّر، وهي تشمل معظم العالم القديم في القرن الثامن الهجري. قد أجبرته على ذلك ليتسع الكتاب لها جميعاً .

وبعض الرحالة أطلق على عمله وصف التاريخ، مثل ابن المجاور الشيباني الدمشقي (ت ح ٦٣٠هـ)، فقد سُمي عمله - أو سماه من جاء بعده - "صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز- تاريخ المستبصر". هذا العمل نسيح وحده في التأليف، فهو يأتي بخريطة تجريدية (كروكي) للمكان الذي يتحدث عنه، ويذكر صفاته، وأهم ما يُزرع فيه، وطرق معاش أهله، ويزيد فيتحدث عن أغلب الأسماء الشائعة للأهالي كغلبة التكنية بـ (با) على الحضارمة وأهل الشحر. مثل أبا لالكة، وأبا هالكة، وأبا فارس، وأبا راسن وأبا عري وأبا عوف وأبا دقوق وأبا فيل وأباريق وأبا كنيف^(١). ويتحدث عن ملابسهم، وعاداتهم في الزواج وغيره من المناسبات الاجتماعية، وفيه ملاحظات لغوية كثيرة نثرها . تفيد المؤرخ اللغوي الذي يقصد إلى معرفة التغير في اللغة دلالاتها وألفاظها وأبنياتها... إلخ، مثل وجود وزن مفعال ومفعالة للدلالة على اسم المكان كالملاح والمصلاية^(٢). ومثل استعمال باء قبل الفعل المضارع للدلالة على المستقبل كقول أهل قلهات: بازق الغريب بالجنديل^(٣). وبعضها ظواهر في كتابته هو، هي السائدة في عصرنا، في اللهجات، مثل: عدم حذف النون من الجمع السالم حين يضاف: كثيرين العشائر صحيحين اللغة، قليلين المال، قليلين الذمة...^(٤)، وبناء الجمع السالم بالياء في كل حالاته الإعرابية، ولغة أكلوني البراغيث^(٥). غير أن ابن المجاور - على تفرد في التاريخ الاجتماعي والإنساني - شاب عمله هنات كثيرة، في مواطن ليست قليلة يذكر حكايات وغرائب مثل: منع والي صنعاء أن يباع الفجل إلا مشققاً أربعاً لأسباب جنسية^(٦)، ومثل وصلات (الردح النسائي) الفاحش المسجوع بين نساء بين الصوريين ونقاطات الموصل^(٧)، مما يعد سباقاً لبرامج الفضائيات في عصرنا هذا، مثل: الاتجاه المشاكس، والاتجاه المعاكس وما شاكلها .

- (١) ابن المجاور الشيباني (يوسف بن يعقوب) : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، تحقيق أوسكر لوفغرين، ليدن : مطبعة بريل ١٩٥١م، ص ٥٤ (السوسوة) .
- (٢) ابن المجاور، ص ٥٦ و ١٢٠ . (السوسوة) .
- (٣) ابن المجاور، ص ٢٨٢ . (السوسوة) .
- (٤) ابن المجاور صفحات ٥٠، ٨٥، ٨٨، ٩٠، ١٤٩، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٤ . (السوسوة) .
- (٥) ابن المجاور، ص ٨٨، ٨٩، ١١٧ . (السوسوة) .
- (٦) ابن المجاور، ص ١٨٦ . وانظر بلايا أخرى في صفحة ٥٦ . (السوسوة) .
- (٧) ابن المجاور، ص ١٢٤، ١٣٥، ١٣٦ . (السوسوة) .

بعض الرحالة قد نجد لديه معلومات خطيرة جداً، تتمثل خطورتها في أنها ستغيّر كثيراً من قناعاتنا المستقرة حول بعض الأشخاص المشهورين في تاريخنا الأدبي . وبالطبع فالرحالة أوردتها عن مشاهدة شخصية . من ذلك أن الرحالة الفارسي ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ) في رحلته مر بمدينة معرة النعمان في الحادي عشر من رجب سنة (٤٨٢هـ) ووصفها وتحدث عن فيلسوف المعرة في حدود صفحتين، سنتقصر في النقل على الكلام حول أبي العلاء المعري (٣٦٣.٤٩٠هـ) وسنجمعه على فقرات : (أ) " في المدينة رجل يقال له أبو العلاء المعري . وهو رجل كفيف، وقد انتهت إليه رئاسة المدينة . (ب) وهو غني جداً، وله عبيد وعمال كثيرون يأترون بأمره، وكل المدينة في خدمته ورهن إشارته " (ج) اختار طريق الزهد فكان يلبس ملابس الصوفية الخشنة، وهو رهن منزله، ولا يزيد طعامه عن نصف رغيف من الشعير يتبلغ به، وذلك كل زاده. (د) سمعت أن أباه مفتوح دائماً وله نواب ووكلاء يقومون بإدارة أمور المدينة ولا يرجعون إليه إلا في المهمات التي تتطلب تدخله وإبداء الرأي الأخير. (هـ) نعمته ميسورة لكل طارق وطالب مع أن أبا العلاء " صائم الدهر قائم الليل ولا يشغله أمر من أمور الدنيا (!!) . (و) وهو رجل شاعر، ولقد وصل في الشعر والأدب درجة لا يداينيه فيها أحد، وقد اعترف له بذلك أفاضل الشام والمغرب والعراق. (ز) يجتمع في محاضراته ما لا يقل عن مئتي طالب علم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ليقروا عليه الأدب والشعر. وسمعت أن له أكثر من مئة ألف بيت من الشعر . (ح) عندما وصلت إلى معرة النعمان كان هذا الرجل قيد الحياة (٤٢٨هـ) .

خطورة هذه المعلومات أنها تزلزل قناعاتنا عن هذا الشاعر الموصوف برهين المحبسين، نقصد . ويقصدون . أنه سجين عماء وسجين منزله الذي لا يغادره . بل إنه نفسه يثبت هذه الأوهام عندنا ويزيد سجننا ثالثاً بقوله :

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسم الخبيث

ونحن نساءل : كيف يكون معتزلاً المجتمع والناس من كان على هذه الأوصاف : رئيس مدينة معرة النعمان، له عمال كثيرون يأترون بأمره، بابه مفتوح ونعمته ميسورة للجميع، ويجتمع في محاضراته ما لا يقل عن مئتي طالب علم ؟ إن رجلاً كهذا لا بد أن يدخل في مفاوضات مع الجهات المؤثرة كالتبائل والحكام المختلفين لحل مشاكل . ولماذا نذهب بعيداً وفي مقدماته لبعض كتبه كرسالة الغفران ورسالة الصاهل والشاحج مدح يقدمه بين يدي من هم أكبر منه مقاماً سياسياً، سواء كانوا ولاة أم شيوخ قبائل في قضايا نزاع وما أشبه . بل إنه رَحَل شاباً في طلب العلم في أرجاء الشام والعراق، وكان ممن ذهب إلى بغداد لتعزية الشريفيين الرضي والمرتضى في وفاة أبيهما نقيب الطالبين .

كيف يقال عنه إنه معتزل الناس؟ ولا دخل لتسوته على نفسه في مأكله وملبسه. رغم ثرائه. بالعزلة، وبالتأكيد لا علاقة للعزلة بأنه كان نباتياً، فالنباتي والحيواني قد يكون مخالطاً أو معتزلاً.

قد يبدي الرحالة على منطقة ما ملاحظات ربما جاءت على غير ما يعتقد أهلها في أنفسهم؛ فأفكاره اصطفت بل تشبعت بتصورات مختلفة، لكن رؤيته. إن نظرنا إليها بحياد. أصدق من أهل البلد أو الوطن، فليس عنده تحيزات محلية ضد فلان أو إعلان كالتى تكون عند البلديين. من ذلك ما جاء في الرحلة اليمنية للسياسي التونسي عبدالعزيز الثعالبي (ت ١٩٤٤م)، التي قام بها عام (١٩٢٤م) ^(١).

هذه الرحلة ليست موجزة بل فيها وصف مسهب لبعض الأمور تحدث الرحالة عن وصوله إلى قرية الضيق قرب يريم، وكيف أن عامل يريم كان في استقبالهم ومعه جنوده وطلاب المعلمة، ومنهم (الرهائن) الذين اختبر بعضهم في قراءة القرآن الكريم وبعض أمور الفقه فكانت النتيجة طيبة. فعجب لذلك أشد العجب، ومصدر العجب أنهم. الرهائن. مساجين ويسمح لهم بالدراسة، ويسمح لهم ببعض التنقل. ثم أخذ يوضح لقارئ كتابه أن الرهائن على نوعين ^(٢)، أولهما. وهو الأكثر. أن يقدم شيخ قبيلة ما أحد أولاده. أو أكثر. للإمام إعلاناً لخضوعه التام. وهذا معناه أن الرهينة يتلقى التعليم التقليدي الذي كان سائداً حينذاك، فإذا كان طموحاً فإنه سيكون صاحب علم ومعرفة أفضل من أقرانه الأحرار. والنوع الثاني: الاعتقال المؤقت بسبب قضية أو غرم أو تأديب، ويطلق سراحه بزوال السبب.

ولقد شنع الثوريون. وما زالوا. على حكم الإمامين أحمد بن يحيى حميد الدين (ت ١٩٦٢م)، وأبيه (قتل ١٩٤٨م) بأنه حكم ظالم يقوم على نظام الرهائن! ولا نريد أن يفهم أننا مع نظام الرهائن، بل نريد أن نضع الأمر في سياقه الزمني، حيث كان معمولاً به ومقبولاً من الجميع ^(٣)، بل إن المشايخ كانوا يتنافسون على إعلان ولائهم بتسليم أولادهم وإخوتهم رهائن لدى الحكومة. وقد كان من الرهائن شخصية قبلية وسياسية لا يجهل أحد قدرها في الجزيرة العربية على الأقل، هو الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر

(١) عبد العزيز الثعالبي: الرحلة اليمنية، ط٢ دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص ١١٢-١١١. (السوسوة). وكمن نحن في حاجة الحقيقة وتدوين المصادقية. ونجد بعض الرحالة المسلمين وغير المسلمين حفظوا لنا تفصيلات علمية جيدة يصعب أن نجدها في أي مصدر أو مرجع آخر. (ابن جريس).

(٢) للمزيد انظر، عبدالعزيز الثعالبي، الرحلة اليمنية، ص ١١٢-١١١. (ابن جريس).

(٣) هذه طريقة من طرق تعليم القراءة والكتابة، وربما كانت موجودة في أجزاء عديدة من شبه الجزيرة العربية، حذا أن نرى باحثاً يتقصى أخبار هذه الطريقة ويوثقها سواء في بلاد اليمن أو غيرها من بلاد العرب. (ابن جريس).

رحمه الله - فهو نفسه يقر أنه تعلم مع غيره من الرهائن في الحبس^(١) . وعلى كل حال فالمنتقدون لا يذكرون أن هذا النظام كان معمولا به عند ولاية العثمانيين في اليمن، قبل وجود الإمامين بأكثر من مئتين وخمسين عاما، بصورة غاية في الشناعة . فعبد الصمد بن إسماعيل الموزعي (ت ١١١١هـ) - وهو كاتب العثمانيين في تعز - متحيز لهم بشكل مطلق^(٢) ، فهو يمتدح القائد العثماني في تعز على سياسته الحكيمة إذ جعل الرهائن في مناطق الحجرية مثلثة ولداً وبناتاً وزوجة^(٣) ، إي والله لا وأي عدالة تريد أكثر من هذا . كانت هذه ملاحظات من وحي الرحلات والرحالة في مؤلفات د. غيثان بن جريس . أسأل الله السداد، وأسأله أن يغفر لنا زلات أقدامنا . والسلام^(٤) . (٢٥ / ٢ / ١٤٤٠هـ) .

٣. تعقيبات ابن حميد على كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) الجزء الرابع عشر) . بقلم : أ. د. أحمد بن محمد بن حميد^(٥) .

سعادة أخي الكبير الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس حفظه الله . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: وصلتني - وصلك الله بلطفه وإحسانه - بالمجلد الرابع عشر من سلسلة القول المكتوب في تاريخ الجنوب (أجزاء من الحجاز واليمن وما بينهما)^(١) ، مضموماً مع كتاب الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي للأستاذ

(١) اقرأ مذكراته على الأقل . وليست بين يدي لأرجع إليها، لكنني سمعتها منه في لقاء تلفزيوني . وفي رأيي أنه كان رمانة الميزان في السياسة اليمنية لأكثر من أربعين عاما، وبوفاته تدهورت الأوضاع، إذ خلف من بعده خلف... (السوسوة) .
(٢) دلالة عنوان كتابه تغنيك " الإحسان في دخول اليمن في ظل عدالة آل عثمان " تحقيق عبد الله الحيشي، ط ٢ دار التنوير، بيروت ١٩٨٦م . أما طبعة وزارة الأوقاف اليمنية فعنوانها " الإحسان في دخول اليمن تحت مظلة آل عثمان " ولا عجب!

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٨، ١٠٢ .

(٤) حبذا يا دكتور السوسوة أنك أسهبت في الحديث عن الرحالة والرحالين الذين تجولوا في جنوب شبه الجزيرة العربية، ولهم مدونات لا تخلو من الفائدة للباحث وطالب العلم . (ابن جريس) .

(٥) يحتوي هذا التعقيب على شكر الدكتور أحمد بن حميد لابن جريس الذي أهداه نسختين من كتابين جديدين صدرا عام (١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م)، ثم يورد بعض التصويبات ووجهات النظر على الجزء (١٤) من كتاب القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، مثل: تقسيم الفهرست العام، وبعض العناوين الرئيسية والفرعية وغيرها من الإشارات . وابن حميد الوارد ذكره في العنوان هو: الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد بن عبد الله بن حميد، من مواليد أبها، ويعمل الآن أستاذ جامعي في قسم السنة وعلومها . بجامعة الملك خالد، وله العديد من الكتب والبحوث المطبوعة والمنشورة، وهو على قدر كبير من الأدب وحسن الخلق . ولطف المعشر . وهذا العنوان المدون في بداية هذا العنصر من عمل صاحب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) . (ابن جريس) . وللمزيد عن الدكتور أحمد بن حميد أنظر: محمد بن أحمد معبر . سيرة كتاب : احتفاء بصدور عشرة أجزاء من كتاب القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٢٩هـ/ ٢٠١٧م)، ص ٢٧٩-٢٨١ . (ابن جريس) .

(٦) الطبعة الأولى (الرياض: المطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م). (٥٨٣صفحة). (ابن جريس) .

الفاضل/ محمد بن أحمد معبر^(١). ولست في مقام التنويه بالقيمة العلمية لكتبكم بعامة، وسلسلة القول المكتوب بخاصة، فقد نوهت بهذا مرارا وتفضلتم بإثبات التنويه في جملة من إصداراتكم، كما سرنى سرعة استجابتكم لجملة من المقترحات التي اقترحتها ونشرت في كتاب "سيرة كتاب" (ص ٣٥٥) مما يدل على كريم خلقكم، وجيل فضلكم، وسعة صدركم، وهذه أخلاق أهل العلم والفضل والنبيل، فلا أملك إلا توجيه الشكر الجزيل على جهودكم المبذولة في خدمة تاريخ وجغرافية المنطقة، سائلا الله لكم التوفيق والسداد.

(* أخى الكبير:

على قلة البضاعة، وكثرة المشاغل، فسأتناول في هذه الرسالة جملة مما علقته حين قراءتي للمجلد الآف ذكره الذي حوى أربعة أقسام رئيسة وهي: **أولا:** محافظة أحد رفيدة (جرش قديماً) في بعض المصادر والوثائق والمراجع والمدونات. وفيه أربعة مباحث عن العنوان المذكور: (١) بقلمكم. (٢) بقلم الأستاذ محمد بن أحمد معبر. (٣) بقلم بعض المستكثبين من أبناء المحافظة. (٤) مشاهدات في المحافظة بقلمكم.

ثانياً: دراسات وحوارات وتصويبات وإضافات على موضوعات تتعلق ببلاد تهامة والسراة. وتضمن ثلاثة موضوعات رئيسة: (١) الأوضاع الأمنية لحركة حجاج اليمن في عصر الدولة الرسولية بقلم أ. د محمد بن منصور حاوي. (٢) لقاء وحوار صحفي مع الأستاذ محمد بن أحمد معبر. (٣) تصويبات وإضافات على ما ورد في المجلد ١٢/ من السلسلة فيما يتعلق بمنطقة العرضيات للأستاذ عبدالهادي القرني.

ثالثاً: بحث عن المخاليف في كتاب معجم البلدان وغيره للأستاذ محمد بن أحمد معبر. (١) دراسة في العمران الريفي بمحافظة ظهران الجنوب. (٢) استخدامات الأراضي الريفية في قرية آل عبيدية وكلاهما للدكتور محمد القحطاني. (٣) ذكرياتكم ومشاهداتكم في القريتين (١٣٧٩-١٣٩٦هـ).

وبداية فقد حوت البحوث العلمية المكتوبة على أساس منهجي إضافات علمية جيدة لن أناقش ما ورد فيها، مع ما في المدونات من إضاءات مهمة يشكرون جميعاً عليها. ويسرنى إثراء البحوث المتعلقة بجرش بهذين النقلين من كتب رجال الحديث. قال الإمام أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي رحمه الله (ت ٢٦١هـ) في كتابه الثقات^(٢)

(١) صدر هذا الكتاب في جزئين (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠٠٨م) (١١٠٤ صفحة) (ابن جريس).
 (٢) معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث من الضعفاء وذكر مذاهبهم للعجلي تحقيق عبد العليم البستوي، مكتبة الدار المدينة المنورة ٢/٢١٣. (ابن حميد).

"النضر بن محمد اليمامي سكن جرش، كنيته أبو محمد ثقة، وهو من أروى الناس عن عكرمة بن عمار اليمامي سمع من عكرمة بن عمار ألف حديث، رحلت إليه من مكة فوصلت في خمسة عشر يوماً" والنضر توفي بين (٢٠١-٢١٠ هـ) (١). وهذا نص جليل يبين المسافة من مكة المكرمة إلى جرش، ويبين مدى الصلة العلمية بينهما (٢). وعيسى بن ميمون المكي أبو موسى الجرشى المعروف بابن دايدة، من رواة كتب التفسير لمجاهد بن جبر كان ينزل جرشاً (٣). وفي باب أنساب المحدثين إلى جرش كثير جداً .

بقيت هذا أخي الكبير جملة ملحوظات منهجية على المجلد وطريقة كتابته، فظني أن الكتاب مادام أنه وصل القارئ فلم يعد ملكاً لكاتبه ومؤلفه، فمن حقه أن يلحظ عليه ملحوظات، لو خلا مما لوحظ عليه فيها لكان أكمل وأجمل ولعل صدركم يتسع لها :

أولاً : في عناوين الأقسام والمدونات :

من المعلوم في لغة البحث العلمي أن يكون العنوان منطبقاً على المضمون؛ مناسباً لما ورد فيه، حتى لا يحمل الموضوع والكاتب ما لا يحتملان، ولو أخذ عنوان القسم الأول مثلاً فنصه كما وضع "محافظة أحد رفيدة (جرش قديماً) في بعض المصادر والوثائق والمراجع والمدونات" ولي على هذا العنوان ملحظان: (١) ابتداء العنوان بمحافظة أحد رفيدة ثم وضعت جُرش بين قوسين كأنه تعريف للمحافظة، وهذا لا يصح لأن مفهوم المحافظة وحدودها امتداد معاصر، فكيف يفسر بامتداد تاريخي؟ وما مدى تطابق الامتدادين جغرافياً وإدارياً وتاريخياً في الزمان والمكان؟ وأيها سابق في الوجود جرش المدينة أم جرش الإنسان؟ (٢) ثم تمم العنوان بـ "في بعض المصادر والوثائق والمراجع والمدونات" ظاهر من العنوان أنه جمع لما ذكر عن أحد رفيدة وجرش من المصادر والوثائق .. إلخ . وعليه فهل البحوث والمدونات المكتوبة تتناول المحافظة وجرش معاً؟ وما هو مكتوب أهو تاريخ أم جغرافياً أم أنساب أم مشاهدات؟ وقبل ذلك هل المكتوب بحوث أم مدونات أم مقالات؟ وهل استوفت كل ما كتب عليها؟ وحقيقة الوارد في القسم بحثان علميان مبنيان على الاستقراء والتحليل، ومدونات . فواقع الحال أن العنوان غير مطابق للمضمون، والعنوان المطابق "محافظة أحد رفيدة بحوث ومدونات" .

(١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ٢٠٩/٥ (ابن حميد) .

(٢) من يستقري كتب السنن وغيرها من مصادر التراث الإسلامي فإنه سيجد ذكراً جيداً لبلاد جرش، وقد خرج عنها بعض البحوث العلمية الموثقة، ومازالت بحاجة إلى دراسات أكثر تاريخية وحضارية وأثرية . (ابن جريس) .

(٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال لأبي الحجاج المزي (ت ٧٤٢هـ) تحقيق بشار معروف، مؤسسة الرسالة بيروت ط/الأولى ١٤٠٠هـ-٤٦/٢٢ . (ابن حميد) .

ثانياً: واضح من مقدمة الأستاذ ص/١٠٦ أنه استكتب مجموعة من مواطني المحافظة للكتابة عن محافظتهم وأهلها، وهذا أمر يشكر عليه فهذه المدونات أهمية قصوى خاصة إذا اعتمد كاتبها وثائق ولقاءات ومصادر، أو كان على جانب من الأهلية العلمية. وقد عنون الدكتور المدونات بعنوان لا يطابق حال هذه المدونات فقد سماها "ورقات من تاريخ أحد ريفية" وقد حمل كاتبها ما لا يحتملون لأن المدون فيها كتابة انطباعية وليست تاريخية بالمعنى العلمي. فلو كان العنوان "ورقات عن أحد ريفية" لكان أولى.

ثالثاً: مدن وقرى منطقة عسير الإدارية تتشابه. إن لم تتماثل. في العادات والتقاليد ونرى أن المؤلف. وفقه الله. يحرص على إثبات ما لدى هذه الجهات من عادات وتقاليد لا تتميز عما هو معلوم في باقي أنحاء المنطقة، ويتم تكريره في سائر حلقات سلسلة الكتاب، وتشابه الحال كذلك في ظل النهضة العمرانية واتساع الحركة التجارية وتنامي المشاريع التنموية، فلا ينفك من تعداد وجود المدارس والمصالح الحكومية، والأسواق وما يباع فيها، أو وصف ما هو معلوم مثل وجود الحمامات والكهرباء والمصاعد الكهربائية في البيوت^(١). ولبس المشالحو والأكوات واختلاف أنواع الأحذية والملابس!! وامتلاك الناس للجوالوات والنظارات والسيارات والخواتم في الأيدي والأقلام في الجيوب ووجود محلات لخياطة الملابس.. إلخ مما لا فائدة منه لعدم اختصاص تلك الجهات بها^(٢)، ثم ما وجه الغرابة فيها؟ وربما لحقه شيء من المؤاخذة الاجتماعية مثل قوله ص/١٦٦ "وأخبرتني بعض القريبات الساكنات في مدينة الأحد عن مبالغة النساء في ألبستهن وبخاصة في الحفلات واللقاءات الاجتماعية!! فهل برئت نساء باقي نساء المنطقة من هذا؟ وهل اختص النساء بهذا دون الرجال؟"^(٣).

رابعاً: معلوم لدى الباحثين أهمية الحواشي التي يضعها المؤلف في توثيق المعلومات، أو توضيح الغامض، أو التعليق على ما يحتاج إليه، إلا أنني لحظت في المجلدات الأخيرة من السلسلة كثرة الحواشي بحيث لا تخلو صفحة من عدة حواشي وأكثرها لا فائدة منها وهي على أنواع: (أ) ما يمكن أن يوضع ضمن التقديم من الدكتور للبحث والمدونة، أو مع التعقيب النهائي بعد عرض البحث والمدونة، وهذا سيكسب النشر في الكتاب قيمة علمية، حيث سيكون الكلام علمياً محدداً بعيداً عن التكرار، ويمنع من أن تكون من باب عفو خاطر!! ففي البحث الذي كتبه الأستاذ محمد آل شيبان الذي استغرق من ص/١٢٦.١٤٠ تضمن (٤٦) حاشية منها (١٤)

(١) ينظر مثلاً ما هو مكتوب، ص/١٥٩، وما بعدها إلى ص ١٧٠.

(٢) هذا الكلام يا دكتور غير صحيح فالمعلومات التي تم رصدها تدخل تحت مظلة التاريخ المعاصر، وأهميتها في الوقت الحاضر قليلة، أو لا فائدة منها، كما أشرت لكنها في المستقبل سوف تكون نصوص تاريخية مهمة لأنها دونت من خلال المشاهدة، وأرجو أن تكون صحيحة وتعكس جزءاً من حياة عصرنا الحاضر. (ابن جريس).

(٣) يا دكتور أحمد هذه صور من الحياة التي تعيشها مجتمعاتنا في الوقت الحاضر، وهي من الجوانب الحضارية التي يجب رصدها وتوثيقها حتى ترى الأجيال القادمة شيئاً من حياة وتاريخ آبائهم وأجدادهم. (ابن جريس).

حاشية للثناء على الكاتب والمكتوب، وثلاث حواشي للتعقب على الكاتب وكان يمكن أن تجمع في المقدمة باختصار ويلاحظ هذا في سائر المدونات والبحوث . (ب) ما يمكن أن تساق في مقال أو بحث خاص حيث يكتب المؤلف من مناداة الباحثين كلما مر موضوع يستحق البحث في نظره، فلا تخلو أكثر الحواشي من اقتراح دراسة جادة عن هذا الموضوع، فكان يمكن أن تكتب في الخاتمة المتضمنة للنتائج والتوصيات . مع أن جملة من هذه الموضوعات المقترحة موضوعات نظرية وبعضها لا علاقة لها بالتاريخ . (ج) ومن الحواشي ما هو تعقب على الباحث ومكانها إما في تقديمه للمدونة أو في آخرها، ويلاحظ أن الحواشي تصدر عند التعقب والتعقيب بقوله : يا فلان، ويا ابن فلان، أو يا أستاذ فلان، أو يا أخي فلان مما لم أراه إلا في هذا الكتاب !!

وقد تتطلب الحواشي إلى محاورة مع صاحب المدونة أو البحث، ولا تخلو من طرافة تنظر مدونة آل شيبان، ومدونة الأستاذ عبدالرحمن القحطاني، وتصويبات الأستاذ عبدالهادي القرني . ولا تخلو بعض الحواشي من أمور شخصية لا علاقة للقارئ بها مثل الحاشية (١) ص/٢٧٣، والحاشيتان (٢.١) ص/٤١١، والحاشية (٦) ص/٤١٢^(١) . وهناك حواشي لا أعلم ما الفائدة منها مثل (٤، ٦، ٧) ص/٤١٥؛ فما الجديد في تعداد ما تبيعه البقالات، وما الغريب في دكان يبيع خبز التيمس والفول؟!^(٢) . وهناك حواشي . وهي كثيرة جدا . خرجت عن معنى الاستطراد، فلو حذف لم يكن لحذفها تأثير . هذه الملحوظات، لا أبرئ نفسي من الوقوع في مثلها، لكني إن رجعت لنفسي وجدت أنه لا يصح إثباتها ولا الاستمرار عليها، فكيف يمثل الدكتور الذي له عند محبيه المنزلة الرفيعة، ولعل مرجع إثباتها العجلة في سرعة إخراج الكتاب، ورغبة كاتبها في الاستمرار في خدمة المنطقة وتراثها التي نذر نفسه لها .

وختاماً أهنيكم بهذا النشاط والهمة العلمية الدائبة، التي يزينها كريم خلقكم وتواضعكم، وأعتذر عما ند به القلم في حقكم، فلکم عندي كل التقدير والإجلال وأسلم لأخيكم المحب/ أحمد بن محمد بن حميد . الأستاذ بقسم السنة وعلومها بجامعة الملك خالد، وعميد كلية الشريعة وأصول الدين سابقاً . (٢٠/٢/١٤٤٠هـ) (التوقيع)^(٣) .

(١) يا أستاذ أحمد هذه معلومات قيمة في قادم الأيام، وتعكس شيئاً من حياة الناس الاقتصادية، ويجب أن تصدر دراسات من هذا النوع ترصد ما نفتقده عند مدوني التراث الإسلامي المبكر فقد ركزوا على الجوانب السياسية والعسكرية، وقصروا في توثيق التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والحضاري . (ابن جريس) .

(٢) حديث الدكتور أحمد عن كثرة الحواشي صحيح إلى حد ما، فالإسهاب في الحواشي يصيب القارئ بالملل، وقد تتكرر حواشي لا فائدة لها، كما أشار . (ابن جريس) .

(٣) أشكر الدكتور أحمد على هذه التعقيبات، ولا ندعي الكمال فيما تم تدوينه وتوثيقه . ونحن جميعاً طلاب علم نصوب بعضنا البعض، ونسعى جميعاً للوصول إلى الحقيقة، وهذا الذي يجب العمل عليه، أو الاجتهاد من أجله . والله أسأل أن يخلص نيابتنا وأعمالنا، وأن يجعل ما نقوم به في خدمة العلم والمعرفة حجة لنا لا حجة علينا . (ابن جريس) .